الموازنة بين المديح النبوي في عصر صدر الإسلام والعصر المملوكي

فراس دهداري
عضو الهيئة العلمية بدرجة مربي - قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة پيام نور- ايران
faras.dehdari@yahoo.com

Prophetic Lyrics in the first Islamic Era and Mamlooki Era: A comparative study

Firas Dihdari
Member of scientific corroboration as an educator Department of Arabic L.& L./ Piam Noor University Iran

الملخص:

يتناول هذا البحث الموازنه بين المديح النبوي في عصري صدر الإسلام والمملوكي فتحدّثنا فيه أولاً عن المديح عامةً و المديح النبوي خاصة. و ذكرنا المديح النبوي في صدرالإسلام مبتنياً على ثلاثة محاور: المحور الأول تحت عنوان المدائح النبوية في صدر الإسلام. والمحور الثاني يشمل المضامين في المدائح النبوية والمحور الثالث يُعني بالخصائص اللفظية والمعنوية للمدائح. ومن ثَمّ جئنا بالمديح النبوي في العصر المملوكي، أيضً تحدّثنا فيه عن ثلاثة محاور: المحور الاول: يتناول المديح في العصر المملوكي والمحور الثاني يخصّ المضامين والمحور الثالث يتحدّث عن الخصائص اللفظية والمعنوية. امّا القسم الأخير والأهم يشمل الموازنة بين قصيدتين لحسان وابن نباته تناولناهما شكلاً ومضموناً وفي الخاتمة ذكرنا أهم النتائج التي وصلنت إليها خلال البحث.

الكلمات الدليلية: الموازنة - المديح النبوي - صدر الإسلام - العصر المملوكي - حسان بن ثابت - ابن نبانه.

Abstract:-

This paper deals with the balance of the Prophetic Hadiths in the modern era of Islam and the Mamluks, where we spoke in the first place about the general praise and the praise of the Prophet in particular. We mentioned the praise of the Prophet in the Islamic breast on three axes: the first axis under the title of the Prophetic Prophets in the beginning of Islam. And the second axis includes the contents of the prophetic praise and the third axis means the verbal and moral characteristics of the chefs. Then we came to the Prophet's praise in the Mamluk era. We also talked about three axes: The first axis: the praise in the Mamluk era, the second axis concerning the content, and the third axis talking about the verbal and moral characteristics. The last and most important section includes the balance between two poems of Hassan and Ibn Qabahah dealt with form and content. In conclusion, we mentioned the most important results that we reached during the research.

Keywords: Balance , Prophetic Meditations , Islam , the Mamluk Period , Hassan ibn Thabit , Ibn Nabanah.

المقدمة:

اهتم كثير من الشعراء بمدح الرسول ﷺ في قصائد كثيرة؛ و على الرغم من كلّ الجهود المبذولة في هذا المضمار والاسترسال في هذا الميدان إلّا أن مبلغ علم الإنسان فيه أنّه بشر ولهذا تري كلّ مدح فيه ما هو إلا قليل من جم أو قطرة من يم قال ابن الفارض المصري:

أرى كلّ مدح في النبي مقصّراً ... وإن بالغ المثنى عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى

نلاحظ أنّ جُلّ اهتمام الشعراء بهكذا مديح قد اتّقدت جذوته في حقبتين من الأدب العربي هما صدر الإسلام والعصر المملوكي؛ إذ سطع نور المدائح في سمائهما، فعمّ الكون من عرب ومن عجم. وجاء هذا البحث ليكشف بعض زوايا هذا الإهتمام في هذين العصرين ما نراه من تحديات تواجه العالم الإسلامي على الصعيد العالمي، والوهن الذي أصيب به المسلمون. وما هذا الوهن إلا حبّ الدنيا وكراهية الموت والابتعاد عن المبادئ وعدم معرفة الرسول ﷺ. وقد أدرك هذه السلبيات غير المسلمين من اهل الكتاب وغيرهم فراحوا يحتلون تارة، ويرسمون كاريكاتيرات أويدلون بتصريحات مهينة ومؤذية تارة أخرى. ولكن بعناية من الباري عزّ وجلّ يحظون كلً مرة بالفشل، وقدفشلت آخر محاولة لهم وهي رسم الصورة المهينة؛ كيف لا وقد توعد الله المستهزئين بقوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (سورة الحجر: ٩٥). وحسب الحبيب المصطفى ﷺ أن مدحه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بمديح و ثناء لم ينله أحد من خلقه. وسخّر قلوب المؤمنين فجرت عيون حبّهم فيضاً وشعراً سمي مديحاً. ويهتف بحبّ الرسول و يدعو إلى الدفاع عنه.

١ـ المديح والمديح النبوي:

أ- المديح:

تعريف المديح:

قال أئمة الإشتقاق وفقهاء اللغة: ((المدح بمعني الوصف بالجميل، يقابله الذم، وبمعنى عدّ المآثر و يقابله الهجو)). وقال ابن منظور: ((المدح: نقيض الهجاء وهو حسن الثناء...)) (ابن منظور،بلاتا،مادة ((مدح))) وللمدح في الشعر العربي مكانة مرموقة، ألا و هو فن من

فنونه و غرض من أغراضه المستقلة؛ يقوم على إعجاب الشاعر بالممدوح- رجلاً كان أو قوماً، لصفات و أخلاق - يتحلّى بها و لأعمال تميزّه و تعلي شأنه، و يعظمها المادح ويجلّها. ومن البديهي أنّ المديح كان و ما يزال آلة حاسبة لتعداد جميل الفضائل و حميد الشمائل، و كانت مادته لدي المادح النعوتُ الحسنة و الصفات المحبّبة و جميع المثل العليا التي يجلّها القوم و يعظّمونها و إذا ما تجّلت هذه الصفات في شخص ما حتى راح المدّاح ينظرون إليه بنظر الاعتبار، و يصبح مَحطّ رحلهم فيشرعون في مدحه، إظهاراً للتقدير الوافر الذي يكنّه هؤلاءِ الشعراء لمن تتمثّل فيه تلك الشمائل المحمودة. وهذا الاظهار بالإعجاب والتقدير يأتي في لغة المادح عن طرق شتّي: امّا أن يكون باستخدام مفردات صريحة تحمل معاني المدح: من الأوصاف المعروفة و الألفاظ و التراكيب المألوفة، اَو باستخدام أساليب غير صريحة، ولم تكن لتصنع للمدح كالإستفهام، والأمر، والنّهي، والإختصاص، والنعت المقطوع، والخطاب، وعطف البيان، وتشبيه الأدنى بالأعلى وعكس ذلك والجمل الخبرية التي تزخر بمعاني الإعجاب بالممدوح. ولقد اعتبر الباحثون منذ القدم كلّ ما ورد في المدائح من صفات حسنة أو نعوت جميلة، ((فضيلة))؛ والفضائل التي يمتدح بها الناس من حيث هم ناس، لا من حيث ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك، انّما هي أربع: العقل، والعفة، و العدل، و الشجاعة. وهي غالبا ما تكون معنوية تستحقّ وحدها الثناء ويستأهل التمجيد من كانت فيه؛ وإن كانت بعض المزايا الحسّية قابلة للمدح أيضاً و اعتبرها البعض من الفضائل. وإنّا لَنجد في الدواوين كماًهائلاً من هذا النوع من المديح الّذي يعتني بالجانب الحسّي ويتطّرق إلى ذكر بعض أعضاء الجسد البشري و يغرق في التعبير عنه؛ وأسرف آخرون في ذلك حتى سمّي البعض منهم لعّد شمائل المرأة ((شاعر المرأة)) مثلاً وفي رأي بعض النقاد أنّ المديح يختص بالرجال دونَ النساء و مبدأ هذه الرؤية قديم حيث لم تساهم المرأة في العصور المنصرمة في جميع المجالات من ادارة الدولة و المشاركة في الحروب و غيرها.

ومن قراءتنا للمدائح اتّضح لنا أنّ المدح يتّم بالإشارة إلى الفضائل المذكورة أعلاه، وهي ما تكون في الشعر للممدوحين دونَ غيرهم و قد يزاد فيها أو ينقص، حسب اتجاه الشاعر وما يقصد من ممدوحه، فقد يزاد عليها أجمل الصفات معنوياً كان أو مادياً؛ فالمعنوي مثلاً الكرم والوفاء؛ وإنّ أفضل الأعمال ما صدر عن مثل هذه الصفات. وقد يقتصر الشاعر على صفة

واحدة في ممدوحه، فيصفه مثلا بالشجاعة فقط، أو بالجود فقط أو غيرهما.

وذكر: ((انّ مَن مدح بغير هذه الصفات كان مخطئا)). (القحطاني، سلطان سعد: النظرية العربية عندالنقاد القدامي من منظور حديث، نظرية قدامة بن جعفر(٩)، المجلة الثقافية، العدد ١٢٩، محرم ١٤٢٧هـ.ق- ٢٠٠٥م، شبكة الجزيرة www.aljazirah.com)و وضعوا شروطا منها: يستحسن في المدح اَن لا يجنح إلى مبالغة لا يقبلها العقل؛ و أقبح المدح ما مال إلى شطط و غلّو؛ و كذلك يقبح في المدح مخالفته لحال الممدوح؛ و أحسنه ما كان صادقاً موافقا للحال. و المعروف عن المدحة أنها تعريف للممدوح على نحو إيجابي، تتضمن سجاياه الخلقية، و شمائله الذاتية و فضائله الفردية؛ و من الممكن أن يتخللّ هذه المدحة شيءٌ من الوصف أو الذّم شريطة ألّا تخرج عن إطارها الموضوع لها فتصبح وصفا خالياً أو هجاءً بحتاً؛ و الهجاء هو تعداد لمثالب العدو و مساوئ الخصوم.

و لقد استخدم الشعراء هذا الغرض - المدح - منذ القدم و حتى يومنا هذا لبيان زوايا حياتهم؛ إذ قاموا برسم جوانب عديدة من أعمال الملوك، و سياسة الوزراء،و بسالة القادة الحربيين و مغامراتهم في سوح المعارك و غيرها؛ فأصبح هذا الفن على أيديهم ((سجلاً شعرياً)) يسطّر آيات المحبة و الإعجاب بالممدوحين و يكشف بعض الزوايا الخفية و المزايا الجلية لحياتهم و حياة كثير من ذوي القدرة و السلطان و أضاف بذلك إلى التاريخ -صادقا أو كاذبا - ما لم يأتِ على ذكره التاريخ.

ب- المديح النبوي

يعتبر هذا النوع من المديح فرعا من فروع الشعر عامة والمدح خاصة وهو فن نشأ وترعرع مع بزوغ فجرالإسلام وانبلاج صبح الدعوة الإسلامية و تشكلّت إرها صاته الأولى مع شعراء الدعوة المحمدية و تبلورت مع المداح من شعراء الشيعة واستمر متوهجاً إلى زمان قريب. وكان الرسول محمد ﷺ قبلةَ الشعراء المسلمين وغيرهم ممن قصده وأنشد القصائد الرائعة بين يديه ولا يعنينا آمن به أم لم يؤمن، صدّقه أم لم يصدقه وندع هذا الحديث وما قيل في الأعشي وغيره مثلاً إلى جانب. (الفاخوري،حنا،١٩٨٧م، ص٨٩).

وأما البادئ بالمديح النبوي - كما قلنا آنفا - هو الله، سبحانه و تعالى، حيث مدح أنبياءه و رسله و مدح الحبيب ﷺ وقال: ((... و عَزّزوه و نصروه...)) ومعنى عَزّزوه: أثنوا

عليه و مدحوه و عظّموه و قوله- تعالى - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هو ثناء لم ينله أحد من خلقه سوي الرسول محمدﷺ.و بمجي ء الدين الجديد تغيرت كل المعايير والسنن ومن منطلق التغيير الذي أحدثته الشريعة السمحاء في كافة شؤون الحياة عند إطلالتها الجديدة على الأمة تغيرت أساليب الشعر و أغراضه العامة و المديح خاصة و لكن هذا التغيير لم يطرء على كل الشعراء فقد بقي البعض ملازماً شعره البدوي و أساليبه الجاهلية ممن لم يؤمنوا برسول الله مثل شعراء الكفار من قريش و غيرهم و لم يلزم السكوت بعضهم فتجرأ و هجا الرسول و اصحابه و شريعته، فلقي مالقي إثر ذلك من ردع و مواجهة من قبل الشعراء المسلمين و في طليعتهم الغراء حسان بن ثابت الأنصاري.و قد وضع الإسلام مبادئ جديدة و أساليب حميدة لكل أغراض الشعر و أقرّ النبي ﷺمن المديح مثلاً كلً ما جّسد القيم النبيلة و الفضائل الجميلة التي بدرت من أهل بيته و أصحابه و أتي على ذكرها المداح و دعا إلى الصدق و ترك المبالغة و بذلك وجه الشعراء و اشترط عليهم أن يكون المديح بما في الممدوح من صفات متوفرة حقّاً حتى لا يكون المدح الكاذب سبباً في انحراف الممدوح و تصعير خده و ظنّه أنه أفضل منهم كما أنه يؤدي إلى إنحراف المادح الذي يفترض فيه الطمع و المداهنة و التذلل. فكان شعراء المسلمين عند حسن ظن الرسول ﷺ وجاء شعرهم وفقاً للخطة المرسومة و هذه الفكرة التي ترسخ الصدق في الشعر لم يكن معتاد عليها من ذي قبل حيث قالت العرب سابقاً: ((أجود الشعر أكذبه)) ولكنّ الإسلام صحّح هذا المبدأ و راح يطلب عنصر الصدق. و هذا التجديد واجه الترحيب من قبل ذوي النفوس السليمة و القلوب الطيبه؛ ففتحت له أبواب الصدور بانشراح. وصار المديح يمثل جوانب هذا التجديد في الشعر من حيث الاتجاه الشعري العقائدي، وجاء موافقاً للقيم السامية والاحكام التي وضعها الرسول ﷺ و شرع شعراء المسلمين يمتحدون هذه القيم و ينوهون بفضائل النبيﷺ و أصحابه و يفاخرون بانتصاراتهم وكان الرسولﷺ يستمع إليهم ويدعو لهم. (ضيف، شوقي،٢٠٠٢م،ص٤٦)

ومن هنا يتضح لنا أنّ للفكرة الجديدة حيّزا كبيراً في الشعر عامةً والمديح خاصةً حيثُ كان التركيز على القيم والإهتمام بالحكمة و الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الرّب و أبراز صفات الحبيب محمدﷺ و خصاله الحميدة و ذكر شمائل أصحابه و أتباعه جلياً في الشعر.

و الجدير بالذكر أن مدح الرسول ﷺ أمر ثابت بنص الأحاديث وأخبار الشعراء في أمهات الكتب؛ و من الأحاديث مارواه ابن ماجة: (أن بعض النساء مدحن النبي ﷺ بقولهن امامه: ((يا حبّذا محّمداً من جار)) و ثبت مدح أكثر من صحابي له ﷺ كحسان بن ثابت والعباس وكعب بن مالك و غيرهم و الرسول ﷺ لم ينكر ذلك بل استحسنه.

وجرى مديح الرسول ﷺ منذ ولادته على لسان جدّه عبدالمطلب عند ما ذهب به إلى داخل الكعبة شاكرا الله على المولود الجديد فقام حامداً:

الحمـــــد لله الـــــذي أعطـــــاني	هـــــذا الغـــــلام الطيـــــب الأردان
قـــد ســـاد في المهـــد علـــي الغلمـــان	أعيـــــذه بالبيـــــت ذي الأركـــــان
حـــــتى أراه بـــــالغ البنيـــــان	أعيـــــذه مـــــن شـــــرّ ذي شـــــنآن

وتوالت المدائح في جميع العصور الأدبية وكان الشعراء ينظمون لآليء قرائحهم و غنّي بيانهم في مديح سيّد الكونين و لم يقتصر هذا الفن على العرب وحدهم بل مدح شعراء الفرس ومنهم سعدي الشيرازي وغيره ولم يقتصر على المسلمين فقط بل شاركهم فيه شعراء أهل الكتاب حتى لايكاد يخلو عصر من احد منهم و لكنّ المديح النبوي له نقاط عطف. و قد عرف انطلاقته الباهرة و لحظته المتوهجة مع شروق نجم الأيام شرف الدين البوصيري فكان له على يده الكريمة تألقه الباذخ ومجده الشامخ حيث نال البردة في رؤياه وكان ثاني من نالها بعد كعب و قد نظم ميميته ((الكواكب الدرية في مدح خير البرية)) التي طارصيتها في الآفاق و حظيت من القلوب بالأعماق و اشتهر نعتها على الألسنة والسطور باسم ((البردة)) و كان لها الأثر البالغ في اللغة العربية و الطعم السائغ في الأذواق الأدبية. ثم انتهي فن المدائح إلى فن رفيع المستوي هو فن ((البديعيات)) تطورت المدائح على أيدي الصوفيين فدخل فيها عنصر الغلّو حتى أسرف بعضهم فنسب صفات إلهية إلى الرسول ﷺ تخصّ البارئ وحده دون أي أحد من البشر. ولكن هذا الغلو لم يتغلب على المديح النبوي كله؛ و لذكري مولد الرسول ﷺ الأثر الأكبر في انتشار قصائد المديح النبوي وتطورها وكانت الدافع الأعظم لنظم المدائح. وكان كلّ مداح يعّد قصائده قبيل الذكري السنوية لميلاد النبي ﷺ و ينشدها في وقتها. وإنّ ما وصل إلينا عن صدر الإسلام كان قليلاً من القصائد التي كان يلقيها شعراء الدعوة الإسلاميه بين يدي النبي ﷺ ومقدار ما قيل

آنذاك مقارنةً بما قيل بعده كان قليلا من جم وقطرة من يم. واليوم نجد الكثير من الكتب التي تجمع المدائح النبوية.

وفي الحثّ على المدايح النبوي جاء: ((... لأنّ فيه بدائعَ من القصائد و المقطوعات ولأنّ له شمائل غير شمائل المديح و لأنّ لأصحابه غايات دينيةً و أدبية خليقة بأن تدرس وبأن يرفع عنها إصر الخمول)). (مبارك، زكي، ١٩٣٥م، ص ١٨.)

٢ـ المديح النبوي في عصر صدرالإسلام

أ- تعريف عصرصدر الإسلام:

يبدأ عصر صدر الاسلام ببدء الدعوة المحمّدية و لكنّ الادباء عينّوا له مبدءاً تاريخياً هو السنة الأولى للهجرة النبّوية(١هـ/٦٢٢ م) و قسموه ايضاً إلى قسمين: العهد النبوي والعهد الراشدي، و منهم من ضّم العصر الأموي إلى هذا العصر لعدم وجود الفاصل الزمني. امّا العهد النبوي ينتهي بوفاة الرسول ﷺ في السنة العاشرة للهجرة (١٠هـ/٦٣٢م) وهذه السنة هي البداية للعهد الراشدي و تكون خاتمته السنة الاربعين للهجرة (٤٠هـ/٦٦٢م) حيث كانت الحادثه المؤلمة و هي استشهاد الامام علي عليه السلام. ولكنّ الحديث عن المدائح النبوية في هذا البحث يختّص بالعهد النبوي كما اسلفنا.

وإن لاحظت شيئا من العهد الراشدي من مدائح نبوية فذلك من المبدأ الذي لا يعتبر المديح للميّت الخالي من التفجع والاستكباء رثاءاً وخاصة إذا كان هذا الميت الرسول الاعظم ﷺ صاحب الشمائل الكريمة والخلق الرفيع ونعتبره - نحن - وكلّ الشرفاء المَثلَ الأعلي للانسانية، وهو حي في ضمائر المؤمنين و يصبح الشعر فيه مديحاً لارثاءً كما كانت قصائد حسان بعد وفاة الرسول لا تشيرإلي البكاء وعدّت من المدائح النبويّة.

شهد هذا العصر دعوة الرسول ﷺ وانقسام العرب إلى مؤيدين ورافضين وحصلت معارك و غزوات و مواجهات بين المعسكرين وكان النصر حليف اهل الدعوة وانتشر الاسلام و بدد جحافل الظلام بنور هَديه الكريم وولّي ليل الجهل مدبراً وانقادت القبائل كلها تحت لواء الدعوة المحمديه ولم يحصل هذا الشيء الا من خلال الجهاد والشهادة والنصر في بدر واحد وفتح مكة وتبوك و.... كان للاسلام اثر على الشعراء المخضرمين ودورهم الجاد في ميدان الشعر.

ب - حالة الأدب:

ما إن أطلّ فجر الاسلام حتى انقسم الشعراء المخضرمون بإزاء الدعوة الإسلامية مؤمنين ومشركين وكان البعض منهم من الفحول و كانت فئه مستقلة لا لهذا ولا لذاك بل كانت لقيمها وتقاليدها الجاهلية جثمت في مكانها تتفرّج على التزاحم الشعري ومعارك الهجاء وامتنعت عن الخوض في لجّة الميدان؛ ومن الشعراء مَن ترك الشعر أصلاً. وانشغل الناس بالمعارك والجهاد وفترت النظرة إلى الشعر ولكنّ الشعر لم يفتر ولم يضعف أبداً.

وراح شعراء الدعوة يضيفون إلى المثل الخلقي الرفيع و الفضيلة المثالية الدينية في الرسول الاكرم ﷺ والخلفاء والصحابة وكانوا يسّجلون كل الاعمال والمنجزات للقادة وما ينشرون من الأمن والعدل اللذَين لا تطيب حياة الناس بدونهما.

ج- حالة المديح النبوي:

شارك اكثر الشعراء في نشر الدعوة الإسلامية و عمل البعض أو اغلبهم على نصرة الدين الجديد و عبّروا عن مبادئ الحياة الإسلامية الجديدة بفكرها و علاقاتها و سلوكياتها الخلقية و إن كان شعر البعض منهم خليطاً من رصيد الجاهلية و الإسلام إذ ذكر البعض مبادئ الجاهلية و معانيها في الشعر عامة و المديح النبوي خاصة و قد تبسم الرسول ﷺ لسماع شعر احدهم اَو صحّح الالفاظ و التعابير و كان موجهاً لهم و لشعرهم. فمثلا عندما قال كعب بن زهير:

إن الرسولَ لنورٌ يستضاءُ بهِ مُهنّد من سيوف الهند مسلولُ

صحّح الرسول كلمه ((الهند)) و قال(صلي الله عليه و آله و سلم) ((الله)) بدلها. وبذلك اصبح الشطر الثاني ((مهنّد من السيوف الله مسلولُ)) و قبله كعب بترحيب.

وما يهّمنا بالتحديد هو المديح في شعر أشهر الشعراء أمثال حسان بن ثابت الأنصاري وكعب بن مالك الأنصاري وعبدالله بن رواحة (الشهيد في معركه مؤته) اولئك الذين لبّوا دعوة الرسولﷺعندما ما قال للانصار وقد رأي المشركين يرشقونه هو واصحابه بسهام الهجاء: ((ما يمنع القوم الذين نصروا اللهَ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟)).

وقال لحسّان: ((شُنَّ الغطاريف على بني عبد مناف، فو الله لشعرك عليهم أشدُّ من

وقع السهام في غلس الظلام و تحفظ بيتي فيهم)) فقال حسان: ((والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لأسلنّك منهم سلَّ الشعرة من العجين.... إلخ)) فقال النبي ﷺ: ((أيّد الله حساناً في هجوه، بروح القدس)). (المجلسي،بلاتا، ج٢٧، ص٢٧٨.).

وقد ورد في الاغاني أنّ حساناً وكعباً كانا يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم بالوقائع والايام والمآثر ويعيّر انهم بالمثال؛ وكان عبدالله بن رواحة يُعيّرهم بالكفر؛ فكان اشدّ القول عليّهم قول حسان وكعب واهون القول عليهم قول ابن رواحة؛ فلمّا أسلموا و فقهوا الاسلام كان أشدّ القول قول ابن رواحة.

ولا يخفى علينا اَنّ ما وصل الينا اليوم من المدائح النبويةّ هو الاصل في المديح النبوي لذلك العصر المبارك ولكنّه اذا ماقورن بما جاء في العصور الأخرى واللاحقه من مديح نبوي وجدناه قليلا مِن جَمِ اَو قطرة مِن يم. و هذا الفن (المديح النبوي) الذي اتّقدت شعلتُه منذُ بزوغ فجر الاسلام والصحيح قبلَ الهجرة ومنذُ ولادة الرسول ﷺ لم يلقَ شيئاً من العناية الوافرة التي لقيتها اغراض الشعر الأخرى لهذا العصر (العصر الاسلامي) من لدن الباحثين ولم يلتفت إليه الا النزر اليسير من الدارسين وفي مقدمتهم الدكتور زكي مبارك، وهو صاحب كتاب ((المدائح النبوية)) ومثل هذا الكتاب الفصل الاول من مشروع اكبر كلّف بتأليفه، و لعل كتابه هذا كان من طلائع الكتب التي طبعت ونشرت في العصر الحاضر في المدائح النبوية وفي التفاتات عابرة لا تتكافأ مع مكانته من ديوان العرب و لا تنهض إلى مستوي منزلته في حياة المسلمين. و ربَّما لم يذكر اهلُ زماننا الّا في المولد النبوي و قد تغنّي به البعض و استصحبَ مع أناشيده بعضَ آلات الموسيقي كالدّف مثلَ ما هو معروفٌ عنَد إخواننا أهل السنة و كافة البلاد العربية. وجرى على لسان الفَرق المسمّاة بفرق التواشيح في بلادنا و قد يصّح بذلك التعبيرُ عن الأدبِ الإسلامّي إلى حدّ ما بـِ ((الأدب اليتيم)). لعدم إنطباق المعايير الاسلامية الاصلية عليه.

د- انواع المديح النبوي:

من الممكن تقسيم المدائح من حيثُ الدافع إلى ثلاثة اقسام:

١- المدائح التي كان الدافع فيها ((الايمان و اليقين)) مثل الامام على عليه السلام.

٢- المدائح التي كان الدافع فيها ((النفع الذاتي)) و المصلحة؛ مثل لامية كعب بن زهير ((البردة)) و هي المشوبات (انظر: القرشي، محمد بن الخطاب،١٩٨٤م، ص٢٨٢.) والاعتذاريات ولم يعتبرها البعض من المدائح النبوية.

٣- المدائح التي كان الدافع فيها ((العاطفة))؛ مثل دالية الأعشي و قد أخرجها البعضُ من إطار المديح النبوي حيثُ اعتبرها عاطفةً عابرةً لم تنظم عن عمقٍ للايمان و قدمات صاحبُها كافراً و ذلك بسبب إغفالِ قريش له وصدِهم له عن مجاورة الرسول ﷺ ومدحه. وكذلك شعر الحطيئة و الذي ضّم إلى جانبه وحملَ بَينَ دفتيه المعاني التي تحطّ من شأنه.

هـ - مضامين المديح النبوي وأغراضه:

جاء الدين الجديد بتعاليمه السمحاء وجاء الرسول ﷺ مبشراً ونذيراً وقد أعلنها حرباً على الجاهلية بكل تصانيفها المخالفة للدين الحنيف. وغيرت الدعوة الإسلامية مسار حياة الناس وعدلت بنظريتهم ورؤيتهم الفكرية والحسية

إلى طريق الصواب فاندثرت أكثرالمضامين السلبية القديمة الموروثة من زهو بالآباء والاجداد والهجاء المقذع والاعتزار بالسبي للنساء وقتل الموؤدات، او التشبيب بنساء العدو و إثارة اللحرب واستجلاباً للاحقاد الدفينة مما كان يحدث معارك ضارية ربما إمتدت إلى عشرات السنين وراح ضحيتها أناس أبرياء،كحرب البسوس؛ واحتلّت مكان تلك السلبيات مضامين حديثة و مفاهيم ايجابية تُعلي من قيمة الانسان و لاسيما المرأة و ترفع من معنويات افراد المجتمع وتحل الامة مكان القبيلة في الشعر و يتضاءل الفخر، فلافخرعربي على عجمي و لا لعجمي على عربي و لا فضل لأبيض على أسود الّا بالتقوي و كقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (سورة الحجرات: ١٣)

و قد امتاز هذا العصر بفتون مغايرة عن اصولها في الشعر الجاهلي كالدعوة إلى العمل الصالح. و الإشادة بالرسول ﷺ (المدائح النبوية) و اصحابه و الحثّ على الجهاد، و رثاء الشهداء، و التفاخر بالانتصارات الاسلامية و بذلك وُجّه الشعر من قبل الاسلام و قُلّل من اغراضه لكننا نري ان التوجيه الجديد لم يغير أغراض الشعر تغييراً جوهرياً فقد ظل الشعر

في مجمله قائماً على الوقائع والايام و المثالب و الانساب و ما إلى ذلك؛ و ظلت اغراضه تدور حول الفخر (و الحماسة من اقسامه الكبري) و المدح و الرثاء و الوصف و الهجاء. و ان البيئة الجديدة صبغت اغراض الشعر بصبغتها و عرضتها في حلّة جديدة. فظهرت هذه الصبغة في نواح منها شعر الدعوة إلى الاسلام و الذي يشمل العقيدة الاسلامية و العبادات والاخلاق الاسلامية والجهاد في سبيل الله وهجاء الاعداء والفخر بالقيم الاسلامية وما إلى ذلك. كما ظهر مدح الرسول وانصاره والتمدح بشجاعة المسلمين وابطالهم ووصف المعاقل و الحصرن و آلات الحرب في الفتوح ولاسيما بعد وفاة الرسول وفي العهد الراشدي بالتحديد. و قد ازدادت بعض الاغراض قوة بالنسبة إلى ما كانت عليه وعكس ذلك حصل ايضاً فقد خفت صوت بعضها وكاد يخفي وإلى الأبد كالغزل الماجن ولكنّه سرعان ما تدبّ فيه روح الحياة نظراً للبيئة الأموية فيجري على السنة الشعراء من جديد. وهكذا حال الهجاء فإنه لم يفتر سوي ايام قلائل في العهد الراشدي إثر الردع الذي واجهه الهجاؤون.(الفاخوري، حنا، الادب القديم، ص٤٦٥.)

٣ـ المديح النبوي في عصر المماليك

أ- تعريف عصر المماليك:

سمي هذا العصر ايضاً (عصر المغول)، و (عصر المماليك)، و (عصر الفترة المظلمة) اذ هولاكو حفيد جنگيزخان التتري، وهو من القبائل التي سكنت أواسط آسيا بين بحيرة بايكال وجبال التائي، قصد بغداد مركز العالم الاسلامي و منار العلم و موئل العز وحاضرة الادب سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) و هي البداية لهذا العصر. فسقطت بغداد على يده وأصيب العالم الإسلامي بنكبة كبري في دنيا السياسة والاداب والعلم والدين واستمر هذا الاستيلاء حتى الربع الاول من القرن العاشر الهجري، أي عند دخول العثمانين مصر على يد السلطان سليم الفاتح سنة (٩٢٢هـ/١٥١٧م) و قضائهم على الخلافة العباسية فيها؛ وبذلك استغرقت هذة الفترة ما يقارب الـ (٢٦٧ سنة). ومن الجدير بالذكر ان هذا العصر هو الدور الاول من عصر الانحطاط حيث دوره الثاني يسمي العثماني أو التركي و هو يبدأ من سنة ٩٢٣ هـ و ينتهي باستيلاء نابليون على مصر سنة (١٢١٣ هـ/١٧٩٨م). و المماليك كانوا على قسمين: بحريين و برجيين. (الفاخوري، حنا، الادب القديم، ص١٠١١-١٠٢١.)

ونحن لا تهمنا هذه المسميات، ولا يهمنا من التقسيمات إلا الدور الاول (العصر المملوكي) يوم قضي على ثمار العقول و عصارة الاذهان في عاصة العراق، بغداد اذ كانت المصيبة قد حلت إثر جناية المغول بقتل الناس و سبي الاطفال و إباحة بغداد أربعين يوماً و رميهم الكتب في دجلة و حرق المكتبات و لكن شاء الله ان تسلم الشام و مصر من شر هولاء الجناة حيث تصدّي لهم المماليك و منع بذلك زحفهم المشؤوم، و إن لم تسلم الشام من اجتياز تيمور لنك، إضافة إلى الصليبين الذين كانوا يشدودن الحملات عليها و على مصر، كما كانوا الاسبان يزحفون بجيوش جرارة لإخراج العرب من الاندلس؛ و كانت الأندلس أكثرها بيد الاسبان سوي رقعة صغيرة هي غرناطة و ما حولها اذ كانت بيد بني الأحمر و بداية من سنة (٦٢٣هـ) وحتى (٨٩٧ هـ). و لم يبق للعرب حكم الإ في اليمن و اجزاء من المغرب هذا من الناحية السياسية؛ اما الحالة الاجتماعية فقد لوحظ ظهور نزعات عديدة في هذه الفترة و ابرزها نزعتان: النزعة الاباحية، و النزعة الزهدية؛ إذ مال قسم من الناس إلى شرب الخمر و لذائذ الدنيا، و القسم الآخر مال إلى الزهد (المصدر نفسه)

ب - حالة الأدب:

أما من الناحية الأدبية فكان الحكام في العراق مغوليين، بعيدين عن أهلها جنساً و ثقافة و ان لم تكن لديهم ثقافة (أعني المغول) و ديناً و هم لا يحسنون العربية بل لا يعرفونها؛ لذلك احتلت اللغة الفارسية مكان العربية بالتدريج و حصل ذلك بقدوم الفرس مع التتر إلى بغداد و غيرها من مدن العراق و استطاعوا الاستيلاء على مقاليد الأمور.

ولم يكتب المغول الرسائل و المناشير و غير ذلك من المكاتبات الرسمية بالعربية الا عند ما يريدون أن يراسلوا المماليك بمصر أو يريدون أن يعلنوا شيئاً ذا بال للعراقين؛ فخمدت بذلك شعلة الادب في العراق بفرار العلم و العلماء إلى البلاد الآمنة و على رأسها الشام و مصر إذ كانتا ركيزتي هذا العصر حيث انتقل التمركز الأدبي و الفني و العلمي اليهما و ساعد على ذلك المماليك باهتمامهم للعربية فانهم و ان لم يكونوا عرباً، الا انهم كانوا يحبون العربية لانها لغة القرآن و الحديث و العلوم الدينية، كيف لاوهم كانوا مسلمين اصلاً و ليسوا حديثي العهد بالاسلام كالمغول؛ و لا يخفي علينا ان المغول انفسهم قد اسلم منهم خلق كثير، و وجدوا انفسهم محتاجين إلى نور العلم يوم أعلن السلطان أحمد تكدار بن

هولاكو إسلامه سنة ٨٦١ هـ. و بدأوا ينشئون المدارس و يشجعون العلماء. و بالعودة إلى المماليك فانهم كانوا يتراسلون بالعربية و اهتموا في إنشاء المدارس و المساجد و دور الكتب و الربط و الزوايا، كما عملوا على تشجيع العلوم و الآداب و الفنون بجد و رعوا الادباء و العلماء و رجال الفكر و اجزلوا العطايا على الشعراء جائزة ازاء مدائحهم. و منهم من اهتم بجمع الكتب و صارت له خزائن نفيسة و بذلك أصبح لهم الفضل السابق في الحفاظ على العربية بجميع علومها. و من الجدير بالذكر أن بعضهم كان يحب سماع الشعر فقصد الشعراء و صارت دور المماليك ملاذاً فقصدهم الشعراء من كل مكان و كان في طليعة هولاء المماليك، الملك ناصر الدين محمد بن قلاوون، تاسع سلاطين دولة المماليك البحرية الذي ولد بالقاهرة و توفي فيها (٦٨٤ إلى ٧٤١ ه). والإمام المؤيدبالله الهاروني صاحب الأمالي وكتاب التجريد وآثار كثيرة أخرى ، وهو الذي حكم ولاية حماة من قبل الناصر بن قلاوون و كانت له قدرات و مناقب علمية و أدبية و قد قدمه شاعر العصر المملوكي أبو بكر جمال الدين التميمي المصري المشهور بابن نباتة المصري و نال منه النعم و المراتب و الهبات و بني اشعاره ((المؤيدات)) في مدحه. و حظي عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبي القاسم السنبسي الطائي المعروف بصفي الدين الحلي، هو الآخر بإياد بيضاء و ايام سنية في حضرة المؤيد، إذ سال في مدائحه حبر مداده الشعري و له فيه قصيدة مطلعها:

راجـــع الطـــرف بالقـــا وســـنه ان ذلـــق غمضـــاً بعـــدكم و ســـنه

ولقد وصل الينا من ذلك العصر ((مديح)) لكنه لم يكن طاغياً على اغراض الشعر الأخرى و لم يتمكن من الغلبة كما هي الحال في العصور الماضية. فسلاطين المغول لم يفهموا العربية فكيف بهم يفهمون المديح ولا يتذوقون الشعر فكيف يغريهم هذا الغرض فيبدون لقائله العطايا التي تغريه على الاستمرار و تحثه على الاكثار. فقد دب فيه الضعف في العراق و بلاد فارس و لكن الحال مختلفة عند المماليك في مصر و قد تكلمنا عن الناصر محمد بن قلاوون و قد حذا حذوة أخوته و أولاده و إلى جانب هولاء كانوا الارتقيون في ماردين و ديار بكر حيث رعوا الشعراء و اجزلوا لهم العطايا على مدائحهم و لو لا امثال هولاء الولاة والحكام ونسميهم المملوكيين المثقفين ثقافةً عربيةً اسلاميةً، لأصيب المدح بالقصور ولحق بفنونه وانواعه الفتور، أو كاد يخفي من ديوان العرب وإلى الأبد.

وقد يكون اكثر هذا المدح غير صادق او تقليدياً بلا تجديد، صناعياً لاروح فيه، ولكنّك تجد الروح الصادقة و العاطفة الجياشة في نوع منه هو موضوع بحثنا والمنشود الاول لدينا الا و هو ((المديح النبوي)).

ج - حالة المديح النبوي:

حفل ديوان العرب بالمديح ايام المماليك فكان الكاذب منه والصادق؛ فالاول يتناول المماليك انفسهم بالمدح والثناء وكانوا هم من دواعي الإغراء اليه بتشجيعهم الشعراء وترغيبهم اليه ولكن كانت غاية المداح فيه التكسب وقد اتسعت دائرته فشملت غير الملوك من الامراء والسادة ولاننسى ان العلماء ايضاً مدحوا في حضرموت والثاني يختص بمدح الرسول ﷺ وهو من مميزات هذا العصر وكان من كبار المداحين ابن نباتة المصري والبوصيري. و قد شاعت فيه الوان كالبديعيات و المعارضات و كثرت ألأ لاعيب الشعرية والوان البديع وظهر عنصر الغلو، إذ اسرف فيه اهل التصوف من الشعراء وقد تاثروا بأبي عبدالله حسين بن منصور الحلاج من أعلام التصوف السني من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس، نشأ بواسط في العراق، والسهروردي الملقب بالشيخ زاده واذي يعد من أحسن الكتاب في عصرالايلخاني ولقب أيضا بياقوت الثاني، وابن عربي أحد المتصوفين السنة وأحد علماءها لقب بالشيخ الأكبر وولد في مرسية في الأندلس ودفن في سفح جبل قاسيون، وغير أولئك كثير.

وأول من يلقانا ضمن المدائح النبوية محمدبن سعيد بن حماد البوصيري كان أحد ابويه من بوصير والآخر من دلاص، وركبت نسبته منهما فقيل الدلاصيري لكنه اشتهر بالبوصيري كان يحترف صناعة الكتاب و التصّوف، الذي أتحفنا بكثير من القصائد الرائعة، و أشهرها ميميته التي مدح بها المصطفي الامين ﷺ وذكر أنها كانت سبب شفائه من علة كانت فيه و أنه رأى النبي ﷺ في المنام و قد زوده ﷺ بشيءٍ من القول هو ((وانه خير خلق الله كلّهم)) و نفع هذه المقالة في عجز بيت كان شطره الاول ((فمبلغ العلم فيه انه بشر)) وكان مطلع هذه القصيدة:

أمِن تذكر جيران بذي سلم ... مزجتَ دمعاً جري من مقلة بدمِ

فكان لها صدى مدوياً و صيتاً عالياً حيث شغل الناس بها فمنهم من ضمنها ومنهم من

شطرها أو خمسها وعارضها وكان لها الاثر البالغ في الجماهير و اليانع في الشعراء والمولفين وبلغ أثرها الدرس والأشعار، ولها الفضل الأول والأكبر في نشأة البديعيات إذ توفي صاحبها فعارض البردة شعراء كثيرون و ابتكروا فن البديعيات وهذه الفن الجديد من نتاج هذا العصر و ذلك ان تكون القصيدة في مدح الرسول ﷺ ولكن كل بيت من ابياتها يشير إلى فن من فنون البديع و مطلع هذه البديعة:

بطيبة انزل و يمّم سيّد الأمم وانشر له المدح وانثر طيب الكلمِ

وكانت إلى جانب هذه البديعة قصيدتة الرائعة التي ضمن فيها أسماء السور للقرآن الكريم وقد عارضه بها بعض الشعراء و كان مطلعها:

في كل فاتحة للقول معتبره حقّ الثناء على المبعوث بالبقره

وجاء بعده صفي الدين الحلي معاصره ووضع قصيدةً سماها ((الكفاية البديعية في المدائح النبوية)) او الكافية. وجاء ابن حجة الحموي فنظم بديعية وتلاوه أبو اسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله، الفقيه، الاديب والشاعر اليمني المشهورفي بعض المصادر بالمقري (ت٨٣٧ ه) فأنشأ بديعيةً سماها ((الجواهر اللامعة، في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة)) ثم جاء جلال الدين السيوطي أحد علماء السنة الذي تفقه منذ صغره و أصبح أديباً و نحوياً و مفسّراً (ت ٩١١هـ)، فعارض ابن حجة ببديعية سماها: ((نظم البديع، في مدح خير شفيع)) و تهافت عليها الشعراء مثل للسيدة عائشة الباعونيه (ت ٩٢٢ هـ) الأديبه والشاعرة ذات الفصاحة والبلاغة إذ لم يكن في نساء الأندلس من يضاهيها فهماً وعلماً فقد كانت تخاطب ملوك الأندلس وتمدحهم و كانت حسنة الخط تكتب المصاحف، التي كان لها بديعيتان. وتلا هولاء كلهم شعراء ايام العثمانيين و حتى نهاية عصر الانحطاط. وظهرت بديعية في العصر الحديث و كان صاحبها الشاعر المصري المعروف احمد شوقيوالمشهور بلقب امير الشعراء التي أسماها بـ((نهج البردة)) و تلا ذلك استاذنا الفاضل الشاعر الإيراني المعروف الدكتور عباس پور عباسي الطائي أستاذ اللغة العربية بجامعة طهران ببديعيته الرائعة ((نسج البردة)) و كان مطلعها:

انظر بديعاً جري في ما جرى بدمي وانظر الينا تجد صرعى بلا سقمِ

وقد بلغ عدد الشعراء الذين تناولوا هذا النوع من الشعر اكثر من خمسين شاعراً. ألم تر

- أيها القارئ الكريم - كيف فعل شاعرنا البوصيري باخلاصه هذا الفعل المعطاء وكيف ساد سلطان مديحته بين العوام والخواص أعني ((البردة)) تاج المدائح النبوية وأمها الخالدة.

وإلى جانب هذا الكم الهائل من المدائح الشعرية كانت هناك رسائل تكتب إلى ديار الرسول ﷺ وتستنجد ﷺ لخلاط الامة من محنها و آلامها. واشتهر بذلك اهل الاندلس، وفي مقد متهم الاديب المولف عبدالملك بن حبيب الألبيري الذي يعتبر من مشاهير فن الرسائل النبوية في هذا العصر وإلى جانبه لسان الدين الخطيب حيث بلغت مدائحه النبوية إثنتي عشرةَ قصيدةً و هذا نموذج من قوله يخاطب فيه الرسول ﷺ مادحاً:

وانت ملاذ الخلق حياً وميتا ... وأكرمهم ذاتاً و أعظمهم مجدا

فلولاك مابان الضلال من الهدي ... ولا امتاز في الارض المكبّ من الأهدي

فقد مدح النبي ﷺ بأنه ملاذ الخلق و اكرمهم و اعظمهم في حياته و بعدها و لولاه لما استبان الضلال من الهدي. ولا بن جابر الاندلسي ايضاً يد طولي في خلق المدائح و قد ذكرناه آنفاً و سنذكر من مدائحه شيئاً - إن شاء الله. و لا ننسي أن له ديواناً سماه ((العقدين في مدح سيد الكونين)) و هناك قصيدة نظمها الأديب الاندلسي ابن المناصف القرطبي في سبعين بيتاً من الرجز سماها ((الدرة السنية في المعالم السنيه)) و قد جمع أحد أدباء المغرب المتأخرين و هو الحسن بن عبدالرحمن بن عذرة الانصاري كتاباً ضخماً في المدائح النبويه في أكثر من خمسة و عشرين مجلداً بعنوان: ((منتهي السول في مدح الرسول)) و لابن المقري الشاعر الفضل الاول و الاكبر في جمع المدائح النبوية و التي جمعها في كتابه ((نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)) و هو شاعر اضاف بعض الشيء عليها. و للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني لفضل الكبير ايضاً في الايتان بمدائح الرسول ﷺ في مجموعته ((المجموعة النبها نية في المدائح النبوية)) فجزاهم الله جميعاً: مداحاً و شعراء عن الرسول ﷺ خير الجزاء، ورزقنا الله وإياهم رضوانه وشفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم.

٤- الموازنة بين قصيدتين شكلا ومضمونا

المديح النبوي بين حسّان وابن نباتة:

[الهمزية لحسان والهمزية لابن نباتة]

جاء حسان بهمزيته يمدح الرسول ﷺ وذلك قبل فتح مكة ويهجو أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة إذ كان يهجو الرسول ﷺ والمسلمين وقد أسلم بعد ذلك وحسن أسلامه ويقال إنّه لم يرفع رأسه إلى المصطفي ﷺ حياءً منه و كان اسلامه يوم الفتح و كان الرسول ﷺ قد تمني فيه أن يكون خلفا لحمزة الشهيد. و مطلع هذه القصيدة:

عفت ذات الأصابعِ فالجواءُ إلى عذراءَ منزلها خَلاءُ

و اَما قصيدة ابن نباتة فمطلعها:

شجون نحوها العشاق فاؤا وصبّ ما له في الصّبر راءُ

وكلتا القصيدتين من بحر ((الوافر)) الذي وزنه:

مفاعلتن مفاعلتن فعولُن مفاعلتن مفاعلتن فعولُن

ومنه معلقة عمر وبن كلثوم ومطلعها:

ألا هُبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

و قد نظم وزن هذا البحر أحد الشعراء فقال:

بحور الشّعر وافرها جميلُ مُفاعلتُن مُفاعلتُن فَعولُن

وهو بحر مطبوع ذو طواعية كثيرة يشتدّ إذا شددته، ويرقّ إذا رققته. فهو في الشدة يصلح لموضوعات الحماسة والفخر والمدح والهجاء ومثال شدته في المدح همزية حسان - وهي موضوع بحثنا - ومثال رقته موضوعات كالغزل والرثاء والوجدانيات ولذلك نراه كثيراً في الشعر العربي قديمه وحديثه.

أ- دراسة القصيدتين شكلاً:

بما أنّ قصيدة حسان هي أول ما جري به لسانه حين سلّه على قريش و هجاهم بجزالة فاننا نري مفردات هذه القصيدة لصلة الشاعر بالعهدين الجاهلي و النبوي جزلة محكمة و القصيدة كلّها مضبوطة الحركات و انّ من وصف شعره باللين ظلمه حيث هناك من ضرب بشعره مثلاً لضعف الشعر في صدر الاسلام، و كان في طليعة من ظلمه الأصمعي في قولته المشهورة (الشعر نكد يقوي في الشر فإذا دخل في الخير لان و ضعف) و تبعه في ذلك محمد

بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي الذي صنف كتاب طبقات فحول الشعراء وكان من أهل الفضل و الأدب وأبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المولود في تونس كان مؤرخاً و عالماً في الاجتماع و السياسه تعلّم القرآن وتفسيره والفقه والحديث وعلم الرجال والتاريخ وفن الشعر والفلسفة والمنطق عند علماء تونس ومن المعاصرين الأديب والمؤرخ والصحفي اللبناني المسيحي جرجي زيدان، إذ قالوا: ضعف الشعر في العصر الاسلامي. و قد أخطؤوا في ذلك و لا شك أن شعراً غزيراً قيل آنذاك و أنّ الرواة لم يد ونوه لانشغالهم بغيره لا انشغال الناس آنذاك في غير الشعر من القرآن إذ قالوا: أدهشتهم أساليبه وأخذتهم النبوة و انصرفت قرائحهم الشعرية إلى غير الشعر.

ولا ننكر أثر القرآن في الشعر وحتى صاحبنا حسان قد تأثّر به في همزيته عند ما قال: (الانصاري، حسان بن ثابت، بلاتا، الهامش، ص٥٨.)

وإلّا فاصبروا لجلاد يوم ((يعزّ الله فيه مَن يشاءُ))

وهذا ((اقتباس)) حيث العجز استقي مادته من القرآن الكريم،و هو من البديع الذي يسمّي ((الكلام المنصِف)) و هو أن ينصف المتكلم من نفسه اَو ممن يتكلم من جهته فيضطر السامع إلى الإذعان له و لا يجد سبيلاً لإنكاره و المنازعة فيه، و منه قوله تعالى: ﴿... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة سبأ:٢٤) فهو معلوم أن المتكلم ومن معه على هدى وأنّ المخاطبين في ضلال وانّما أبهم الأمر بين الفريقين ليكون إدّعى للمخاطب إلى الإذعان للحق وترك العناد إذ يرى المتكلم ساوى بينه وبين نفسه وأنصفه. (الاصفهاني، أبوالفرج، ١٩٦٨م، ج٤، ص١٤٦.)

ونجد ضرباً من الاقتضاب يقرب من التخلص في قوله: "فدع هذا "من البيت التالي:

فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقني إذا ذهب العشاءُ

فقوله فدع هذا كالفصل بين الموضوعين و قوله إذا ذهب العشاء يريد إذا آن النوم والعشاء اول الظلام من الليل. وقد أسند ((يؤرقني)) إلى ((الطيف)) و ((ذهب)) إلى ((العشاء)) وهو ليس من عملهما، و هذا مجاز.

وقد شبّه لسانه بالصارم وشبه شعره بالبحر الصافي وهذا تشبيه بليغ:

لســـــاني صـــــارم لا عيـــــبَ فيـــــه وبحـــــري لا تكـــــدّره الـــــدّلاءُ

والتشبيه نراه بكثرة في قصيدة ابن نباتة واليك نماذج منه:

وعـــــين دمعهـــــا في الحـــــب طهـــــر كـــــأن دمـــــوع عـــــيني بـــــيرُ حـــــاءُ

وبئر حاءَ معروفة و هي بئر غزيرة الماء لحي من مذحج (حاء) في اليمن. ومن التشبيه ايضاً:

كـــــأنّ بكـــــايَ لـــــي عبـــــدٌ مجيـــــبٌ فمـــــا فرجـــــي إذا إلّـــــا البكـــــاء
لفكرتـــــه ســـــرى في كـــــلّ وادٍ كـــــأنّ حنينـــــه فيهـــــا حـــــداءُ
ولـــــثم حصـــــي لتربتـــــه ذكـــــيّ كـــــأنّ شـــــذاه في نفســـــي كبـــــاءُ
ونفـــــس ذنبـــــها كالنيـــــل مـــــدّا ومـــــا لوعـــــود تربتـــــها وفـــــاء

وقد استعار للنفس ذنباً ليجعل طوله ممتداً كمّد النيل في طوله. وصاحب النفس الطويلة. من لا يستعجل في انجاز اعماله اَو يكاد لا ينجزها لتهاونه ومماطلته.

ومن قراء تنا لقصيدة ابن نباتة المصري وجدنا أنّه ((ضمّن)) بيتاً لحسان هو:

وأن أبي ووالـــــــــده وعرضـــــــــي لعـــــرض محمـــــد مـــــنكم وقـــــاء

(انظر: إبن نباتة المصري، بلاتا، ص٥٧.)

والعرض: النفس أو الاسلاف والأهل. وهو كل ما يتعرض للمدح أو الذم. والوقاء الحفظ. ومن المفردات الخليقة بالإيضاح نذكر لك نماذج في مايلي:

وردت في مطلع همزية حسان كلمات مثل ((ذات الاصابع)) و((الجواء)) و((عذراء)) وهي مواضع؛ فذات الاصابع و الجواء موضعان بأكناف دمشق و عذراء موضع على بريد من دمشق و إليها ينسب مرج عذراء. و كانت بهذه المواضع منازل ملوك غسّان الذين مدحهم حسان دهراً، فراح يحنّ إليها و اليهم في شعره.

ونجد في البيت الثاني من قصيدته: ((بني الحسحاس)) و ((الروامس)) و ((السماء)).

وبني الحسحاس قوم من العرب و من اولاد الحسحاس بن مالك بن عدي بن النجار، وعبد بني الحسحاس سحيم شاعر معروف. و((السماء)) المطر. والروامس الرياح التي تعفي وتدرس الآثار بإشارتها التراب عليها. وهو بذلك يجد تلك الديار قد عفت:

و((شعثاء)) هي زوجة حسان أو التي شبب بها وهي بنت سلام بن مشكم اليهودي وشعشاء قد تيمته كما كان كعب متيماً بسعاد قبله:

لشعثاء التي قد تيمّته فليس لقلبه منها شفاء

وذكر أسماء للخمر منها: ((السبيئة)) و ((الراح)) وسميت الخمر سبيئة - ولا يقال ذلك إلا في الخمر- لأنّها تستبأ أي تشتري.و ذكر ((كداءَ)) و هي الثية العليا بمكة ممّا يلي المقابر و هو العملي. و قد دخل مكةَ عامَ الفتح مِن كداءَ يهدّد قريشاً و يتوعّد هم بحرب حامية عند ما قال:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النّقع موعدُها كداءُ

وقوله ((عدمنا خلينا)) دعاءٌ عليها كقول أحدهم: لا حملتني رجلي إن لم تسر اليك. و هو نوع من البديع أن يحلف المتكلم على شيء بما يكون فيه فخرله و تعظيم لشأنه أو تنويه بغيره أودعاء على نفسه أو هجاء لغيره.(المصدر نفسه)

يُبارين الأعنة مُصعداتٍ على أكتافها الأسلُ الظماءُ

يبارين الأعنة (جمع العنان)أي أنّها تجاري الأعنة في اللين و سرعة الإنقياد ومصعدات أي ذاهبات صعداً وهي حال لها في محل نصب؛ وفي نسخة((يبارين الأسنة(جمع السنان) وهو مقدم الرمح)).

ولو تصفحنا قصيدة ابن نباتة لوجدنا فيها مفردات لا تقلّ صلابة عن مفردات قصيدة حسان وجزالتها ولكنّ الفاظ حسان لها رنين ووقع أشدّ دندنة من الفاظ غيره. ولا بأس إذ ذكرنا بعض مفردات ابن نباتة وبداية من المطلع:

الشجون والاشجان الهموم والحاجات التي تهم. وفاؤا رجعوا وتابوا ويقال فاء إلى الله إذا تاب ورجع. وقال:

ولولاه لمّا حجّت وعجّت وفود البيت ضاق بها الفضاء

وعجّت أي رفعت اصواتها بالتلبية و في الحديث: أفضل الحجّ العجّ والثّجّ؛ والعجُّ: رفع الصوت بالتلبية، و الثجّ: صبّ الدم، وسيلان دماء الهدي، يعني الذبح؛ ومن الحديث: أن جبريل عليه السلام أتي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: كن عجاجاً ثجاجاً (أنظر: ابن منظور،بلاتا، مادة ((عجج)).)

وقد تلاعب بالالفاظ ابن نباتة لمصري ولم يفعل مثله حسان بن ثابت الانصاري: ومثال ذلك:

ولاحٍ مـــا لـــه هـــاء و مـــيم ... لـــه مـــن صـــبوتي مـــيم و هـــاءُ
مســـوّفة مـــتي وُعـــدت بخـــير ... تقـــل ســـين و واو ثمّ فـــاءُ

وأمثله الطباق لدي ابن نباتة كمايلي:

كـــأنّ الحـــبّ دائـــرةٌ بقـــلبي ... فحيـــث الـإنتهـــاء الإبتـــداء
بروحـــي جـــيرةٌ رحلـــوا بقـــلبٍ ... أحـــبّ وإحســـنوا فيمـــا أســـاؤا
بـــهم أيـــام عيشـــي والليـــالي ... هـــي الغلمـــان كـــانت والإمـــاء
ومـــن انتقبـــت مناقـــب أبطحـــي ... وعنـــها الأرض تفصـــحُ والســـماء
ففـــي الـــدنيا لنـــا بجـــده ســـاق ... وفي الأخـــرى لنـــا الحـــوض الـــرواء
فخـــير ينعـــم الســـعداء فـــيه ... وبـــأسٌ تحتـــويه الـأشقـــياء

و مثال رد العجز على الصدر:

أعـــدلي يـــا رجـــاءَ زمـــان قـــرب ... بروضـــته أعـــدلي يـــا رجـــاءُ

وفيه التكرير ايضاً:

ومن أمثلة المماثلة:

فـــأبكي حســـرةً حيـــث التنـــائي ... وأبكـــي فرحـــة حيـــث اللقـــاء

ومثال الجمع بعد التقسيم:

ممدحـــــة ثلاثتـــــها نصّـــــر ... خـــــراب أو طعـــــان أو رمـــــاءُ

ومن أمثلة المجاز ما جاء في الأبيات التالية:

وبـــثّ صـــبابتي إنســـان عـــيني ... فيـــا عجبـــاً و في الفـــم منـــه مـــاءً
وقـــال الجـــود بعـــد الحلـــم حســـبي ... حيـــاءً أن شـــيمتك الحيـــاء
فيشهد نجم تلك ونجمُ تلـك ونجـمُ هـذي ... ويجـــري مـــن يديـــه نـــدي ومـــاءُ
مـــنعم الحصـــن أن طلعـــت خطـــوب ... ونعـــم القطـــب إن دار الثنـــاء
ونعـــم الغـــوث أن دهيـــاء درات ... ونعـــم العـــونُ أن دار الرجـــاءُ

وإليك بعض أمثله ((الجناس)):

ذكـــت اشـــواقه فمـــتى تـراهـــا ... قبـــاب قبـــا كمـــا لمعـــت ذكـــاء
وبـــاب محمـــد المـــرجو يـــروَي ... لقـــاصده نجـــاح أو نجـــاء
وأيـــن الشـــمس منـــه ســـناً ولـــولا ... ســـناه لمـــا ألـــم بهـــا بهـــاءُ
يجـــر علـــى الثـــري ذيـــل اتضـــاع ... وينصـــب في مكارمـــه الثـــراءُ
وأمـــدح بألســـنه الـــورى في ... مطالعهـــا ارتقـــاءٌ ونتقـــاءُ

وكلّ هذه الصناعات لا نجد منها إلا القليل في شعر حسان، و هي صناعات تعمدها الشعراء في العصر المملوكي و حفل شعرهم بها فجاء في حلّة بديعية اختلفت فيه مدائحه النبوية عن اخواتها من المدائح في شعر شعراء الرعيل الاول.

ب - دراسة القصيدتين مضموناً:

تشابهت القصيدتان في بعض المضامين و الاغراض و اختلفتا في نقاط و من أوجه التشابه ابتدائهما بالغزل إذ قصر عند حسان، و كثر وطالت ابياته لدي ابن نباتة، و هو غزل رقيق إلّا أنّه شمل الغلمان و الإماء و حفل بالشجون و النأي، و ما إلى ذلك من لوعة و هجران يلقاه الشاعر. فحسان يجد الديار المجيبته قد عفت و لابن نباتة جيرة رحلوا فبات محصوراً في دائرة الحب فحيث الإنتهاء الإبتداءُ. و لكنّ شعر حسان تميز باليسر و السهولة و الإيضاح بعيداً عن التكلف و المبالغة و لتقصير و الفحش و اما شعر ابن نباتة تبهضه تلك الديكورات الفخمة من بيان و بديع، و لا تخلو قصيدته من الحكمة و المواعظ و غيرها من أفكار فلسفية و ملامح صوفية. و مدح الرسول ﷺ هو من القواسم المشتركة في القصيدتين و قد شمل الرسول ﷺ و الملائكة -و جبريل عليه السلام منهم - و الأنصار في قصيدة حسان بن ثابت و لكن دائرته تتسع عند ابن نباتة المصري و يقتصر على الرسول ﷺ. وأن الرسول ﷺ في المدح تلوذ بجاهه الفقراء- وابن نباتة منهم وأنه ﷺ شفيع و شافي القلوب وهو جميل يخشع البدر أمامه خجلاً، ويضرج الحياء الشمس وتتبلور شمائله الأخرى في ذكر معاجزه ومكارمه ومولده ومبعثه والمعراج والإسراء:

يُولـــد فضـــل مولـــده ســـعوداً ... بنوســـعد بهـــا أبـــداً و ضـــاء
لمبعثـــه علـــى العـــادين نـــار ... وللـــهادين نـــور يستضـــاءُ

وحسان يأتي بالهجاء ولم يفعل ذلك ابن نباتة المصري في قصيدته. وحسان هو القائل:

اَلا أبلـــغ أبـــا ســـفيان عنّـــي فأنـــتَ مجـــوّف نخـــب هـــواءُ

ومن أوجه الإفتراق ايضاً أنّ حساناً أتي بالفخر ولم يأت به المصري. انظر مقالة حسان:

لســـاني صـــارم لا عيـــب فيـــه وبحـــري لا تكـــدّره الـــدّلاءُ

وملامح الوصف ظاهرة في قصيدة حسان و منها أنّه وصف الخيل فقال:

عنـــدما خيلنـــا إن لم تروهـــا تـــثير النقـــع موعـــدها كـــداءُ
يبـــارين الأعنـــة مصـــعداتٍ علـــى اكتافهـــا الاســـلُ الظمـــاءُ
تظـــلّ جيادنـــا متمطـــرات تلطمهـــنّ بـــالخمر النســـاءُ

ونكاد لا نجد للوصف أثراً في قصيدة ابن نباتة الا القليل المبعثر هنا وهناك.

وللحماسة نصيب من قصيدة الأنصاري عندما قال:

وقـــال الله قـــد ســـيّرت جنـــدا هـــم الانصـــار عُرضـــتها اللقـــاءُ
لنـــا في كـــلّ يـــوم مـــن معـــد ســـباب أو قتـــال أو هجـــاءُ
فـــنحكم بـــالقوافي مَـــن هجانـــا ونضـــرب حـــينَ تختـــلطُ الـــدماءُ

وقوله نحكم أي نمنع من هجانا من أن يعود بقوافينا اللاذعة المفحمة.

وآثار الحماسة ضئيلة جداً في قصيدة ابن نباتة الا في بعض ما مدح به شجاعة الرسول ﷺ؛ ومثاله:

دري ذوالجـــيش مـــا صـــنعت ظبـــاه ومـــا يدريـــه مـــا صـــنع الـــدعاء

وهي حماسة يتخللها زهد الرسول ﷺ و عبادته.

والجدير بالذكر ان ابن نباتة ذكر موضوعات في قصيدته الهمزية لم يتطرق لذكرها حسان اذ لم تكن هذه المضامين من شروط قصائد المدح عند الرعيل الاول من شعراء المسلمين. ومنها: الأفكار الفلسفية، والتوسل، والمعجزات، ومولد الرسول ﷺ، ومبعثه، والتشفع والتوسل بالنبي ﷺ، والصلاة والسلام عليه، وان كانت الصلاة قد ذكرت في بعض المدائح النبوية في صدر الاسلام إلا أنّها لم تكن من ميزات الشعر آنذاك.

ومثال تلك الأفكار الفلسفية والصوفية قوله:

تقـــدّم ســـؤدد وقـــديم مجـــد ... علـــى ســـعد السعـــود لـــه حبـــاء
ضـــفت حلـــل الثنـــا وصـــفت لديـــه ... وآدم بعـدهـــــا طـــــين ومـــــاء
ولـــــولاه لمـــــا حجّـــــت وعجّـــــت ... وفـــود البيـــت ضـــاق بهـــا الفضـــاء
وإن يتلـــي لـــه في الحـــج حمـــد ... فقـــد مًـــا قـــد تلتـــه الأنبيـــاء

وامثلة المعجزات التي بدرت من الرسول ﷺ ومكرماته:

كمـــا كـــان الغمـــام عليـــه ظـــلاً ... عليـــه الآنَ يســـفح مـــا يشـــاء
فيشـــهد نجـــم تلـــك ونجـــم هـــذي ... ويجـــري مـــن يديـــه نـــديً ومـــاء
علـــى ســـاق ســـعت شـــجرة وقامـــت ... حـــروب النصـــر وازدحـــم الظمـــاء

وذكر ابن نباتة أحداث المولد فقال:

وفي نـــار المجـــوس لنـــا دليـــل ... لِأنفســـهم بهـــا ولهـــا انطفـــاءُ

وفي الإسراء يقولُ:

وفي الأســـرى وصـــحبته فخـــار ... ينـــادي مـــا علـــى صـــبح غطـــاء

وسلّم على الرسول ﷺ فقال:

ســـلام الله إصـــباحاً وممســـي ... علـــى مثـــواه والســـحب البطـــاءُ

وذكر الصلاة عليه فقال:

عليـــك مـــن الملائـــك كـــلّ وقـــت ... صـــلاة في الجنـــان لهـــا أداء

وعبّر عن نظرته في المدائح النبوية فقال:

وأمـــداح بالســـنة الـــورى في ... مطالعهـــا ارتقـــاء وانتقـــاء

وفي رأيي أنّ القصيدتين جميلتان. و تظلّ همزية حسان في صلابتها شامخةً و همزية ابن نباتة في رقّتها راقية. و نحن بهذا الوميض من الموازنة، نكون قد أنهينا حديثنا عن المدائح ولكنّها تبقى، والحديث والبحث سيعودان عنها، و ستكون موضوع باحث وباحثين بعدنا وليس لها ختام و:

إذا خُتمـــت تُعـــادُ فكـــلُّ تـــالٍ ... لـــه وقـــفٌ علَيهـــا وَابتـــداءُ

النتائج:

من البديهي أنّ دراسة الآثار الأدبية المماثلة لأدبين أو أكثر أو أديبين من أدب واحد أو آداب مختلفة تُعدّ أفضل الطرق للمقارنة وأحسنها لإحياء التراث والنّهوض بالمسؤولية تجاه ألأدب و الإنسانية، خاصّةً إذا كان من تلك الآثار أو اَصحابها ما يُعدَّ في القمّة من الشهرة فإنّ ذلك يؤّدي إلى إجلاس تلك الآثار الأدبية و الأدباء الأعلام بمقعد يليق و الشأنَ الّذي تستأهله و يستأهلونه.

و((المقارنة)) مصطلحٌ حديثٌ ظهر إلى السّاحة الأدبية و غيرها تزامناً مع ظهور الأدب المقارن الّذي يعني دراسة العلاقات الدولية و الصلات التاريخية بين مختلف الآداب والظواهر التّي تتجاوز أدباً واحداً؛ وله ميدان واسعٌ اليومَ مقارنةً بأمسه المزدهر - أعني القرَن التاسع عشرَ و بدايته من القرن السادسَ عشرَ - حيثُ شمل دراسات متنوعةً دولية عامةً و فروعاً متشعبةً في جميع المجلات و اهتّم رُوّادهُ بدراسة علاقات التأثير والتأثر، وأُخرجوا من نطاقه الدراسات التّي تجري داخل أدب قومي واحد أو بينَ أديبَين من أدب قومي واحد - ودراستنا من هذا النوع - وعّدوها ((مُوازنات)) لا أكثر؛ و لا ننكر أنَّ دراستنا هذه لا تعني ذلك النوع من الدراسات العالمية ذات الصلة بالأدب المقارن العالمي؛ وقد أطلقنا عليها لفظَ ((المقارنة)) لما تعنية هذه المفردة من إقامة مقايسة و موازنة بين الأشياء ومن المنطلق الّذي يري بابَ الأدب المقارن مفتوحاً اَمام كلّ الموازنات التي تجري بين الظواهر الأدبية - فنيةً كانت أم مضمونيةً، وجدت بينها علاقات تأثير و تأثر أم لا - وهو رأي بعض المقارنين أيضاً. وفي الحقيقة هناك صلات تأثير وتأثر في نتاجات العهدين (النبوي والمملوكي) الأدبية وخاصةً الشعر منها وتجديداً الجانب الديني منه حيث ازدهرت فيه حركة اهتمت بالسيرة النبوية ونعت الشمائل المحمدية، وخَلقت بذلك فناً خصباً، واحتلّت صفحة مشرقةً من ديوان العرب عنوانها ((المدائح النبوية)).

وممّا لا شك فيه أن لِهاتين المدائح وجوهَ إشتراك و تشابه إلى جانب أوجه الإفتراق ممّا يُحّفز على الدراسة و البحث؛ ومن هذا المنطق أقمنا هذه الدراسة في قالب الموازنة وسنعرض نماذج من كلا العصرين؛ وسيكون جُلُّ اهتمامنا بالشكلِ والمضمون حيثُ سيكونان محوري هذا البحث وكما تعلم أنّ الإهتمامَ بهما أمرٌ لابُّد منه و قد أشار رسولُ

الله ﷺ إلى ذلك بقوله: ((انّ من البيان لَسحراً)) و((انّ من الشعرِ لَحكمة)) والحكمة تعني المضمون و السّحر يعني التصوير و التعبير،و ذلك مجتمعاً يمثل صورةَ الأدبِ الحيّ الّذي حَفِلَ بأدباءٍ يقفُ شعرُهم على القمةِ من ناحيةِ الشكلِ و المضمونِ.

قائمة المصادر والمراجع

إن أول مانبتدىء به القرآن الكريم.

١- ابن الاثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الاسلامية، د.م، د.ت.

٢- الاصفهاني، ابوالفرج: الأغاني، شرح سمير جابر، دارالفكر، ط ١، ١٩٦٨ م

٣- الأعشي: الديوان، دارصادر، بيروت، ١٩٦٠ م.

٤- الأنصاري، حسان بن ثابت: الديوان، شرحه عبدالرحمن البرقوقي، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠ م.

٥- الأيوبي، ياسين: صفي الدين الحلي، دارالكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧١ م.

٦- بروكلمان، كارل: تاريخ الادب العربي، تعريب: عبدالحليم النجار، دارالمعارف بمصر، د.ت.

٧- البستاني، فؤاد افرام: المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٢، د.ت.

٨- التبريزي، يحيي: شرح قصيدة كعب بن زهير، تحقيق: فريتز كرنكو، دارالكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٧١ م.

٩- الثعالبي، عبدالملك: فقه اللغة، تحقيق: جمال طلبة، دارالكتب العلمية، بيروت،٢٠٠١م.

١٠- الحلي، صفي الدين: الديوان، دارصادر، بيروت، لبنان، د.ت.

١١- الخطيب، هاشم: المدائح النبوية المتضمنة لسور القرآن، دارالبيان، بغداد، ط١، ١٩٧٥ م.

١٢- الدهان، سامي: المديح، دارالمعارف، القاهرة، مصر، د.ت.

١٣- روانگرد، محمود: بررسي مدح پيامبر در دوره انحطاط ((رسالة جامعية))، جامعة آزاد الإسلامية، فرع آبادان و خرمشهر، السنة الدراسية ١٣٨٤-١٣٨٣هـ.ش.

١٤- ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر الاسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط٢٠، ٢٠٠٢م.

١٥- ضيف، شوقي: تاريخ الادب العربي، العصر العباسي الثاني، دارالمعارف، القاهرة، ط١١، ٢٠٠٢ م.

١٦- الفاخوري، حنا: تاريخ الادب العربي، منشورات المكتبة البولسي، بيروت، ط١٢، ١٩٨٧ م.

١٧- الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دارالجليل، بيروت، ط١٩٨٦،١م.

١٨- القرشي، محمد: جمهرة أشعار العرب، داربيروت للطباعة و النشر، بيروت، ١٩٨٤ م.

١٩- مبارك، زكي: المدائح النبوية في الأدب العربي، دارالكتاب العربي، القاهرة، ١٩٣٥م.

٢٠- المقري، أحمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دارصادر، بيروت، ١٩٦٨ م.

٢١- ابن منظور: لسان العرب، دارالفكر، بيروت، د.ت.

٢٢- ابن نباتة المصري، جمال الدين: الديوان، داراحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢٣- الهاشمي، أحمد: جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، مكتبة المصطفوي، قم، ط١، ١٣٦٧ هـ.ش.

٢٤- ابن هشام:السيرة النبوية، تحقيق: عمد عبدالسلام تدمري، دارالكتاب العربي، بيروت، ط٦، ١٩٩٨م.